إصغ وصغ !

بقلم الاستاذ صدر الدين احمد

ما أحسب ان احداً يتيسر له ان يكابر فيزعم بأن في النجف ادباً طريفاً كما في رباع سورية ومصر . . . تلك الرباع المباركة التي بعثت لنا من مواهب رجالها عصراً ذهبياً حديثاً في سائر فنون التفكير والترجمة والتأليف ، حتى لكأن العبقرية العربية التي توارت بعد العصر العباسي عن الانتاج انما توارت من ذات نفسها كيما تنشئ بذلك نفسها من جديد فتظهر في غير العراق .

انا لا أحسد الرباع الشقيقة على مواهب رجالها المنتجين المبدعين ، ولا ينبغي لي ان احسدها قط مادمت مغتبطاً بانها قد استخلفت عبقرية بغداد عاصمة الرشيد ، وإنما أحسد رجالنا الادباء على ما عندهم من اعصاب متخشبة لا تسأم الكسل ولا الجمود . . . كما لو لم تكن رقة الحس من خصائصها ولا دقة الشعور من مبانيها — رغم ان جهاز الوعي العالمي يصطخب من حولهم ويعج عجيجاً بأعاصير القرائح الادبية وهزاهز الأدمغة العامية ونغمات الافكار الجوالة في شتى رياض الفنون .

وبعد . . . فليت شعري اين كان يتعين موقع الأدب العربي من مصاف آداب الامم المبدعة لولا ادباء سورية ومصر وجهادهم شعراً ونثراً في التدليل والحجة على ان الادب العربي لم يعد في جملته وتفصيله كما كان هو في العصر الجاهلي والاموي والعباسي طامياً بنحش الهجاء وسعار العصبية وتلفيق الرثاء وباطل المدح وفسق التغني بالزنا واللواط ومعاقرة الخمور . . . !

إن الادب في الحقيقة كسائر الكائنات الحية خاضع لسنة التطور والارتقاء ، فهو ينمو ويسمو بمضاعفة الرعاية العقلية إياه وبتنويع الأغذية العاطفية له والسهر على تطبيبه من كل آفة وسقم ونضوب ، غير انه اذا باء من اهله بالغمط والصد والاهمال فما أسرع ان يتقلقل فيتصدع فيسقط بالتالي مسقط الوهص والبدد والاندثار .

كل شيء في ملكوت السماء والارض يستهوي قلوب الادباء الى التأمل والاعجاب . . الى التصوف والزكانة . . الى التفاؤل والطرب . . وإلى ما أدري وما لا أدري من المعاني السافرة على الافق المشرق . . على الروض الشاري . . على القفر الصامت . . على البحر المتماوج الاعطاف ، ولكن اين ادباؤنا من مطالعة هذه الروائع الفاتنة البهيجة الألوان ؟ أفلا يملكون لها عيوناً تقبس وقلوباً تخفق ومدارك تعي وتترجم ؟

ومشاكل الناس الاجتماعية من يعالجها ؟ وظلاماتهم الاقتصادية من يناجزها ؟ وأمانيهم القومية من يجلوها ويصورها ويعانيها ! ! فياما أتعس الامة إذا شقيت بتقاعس ادبائها عن نصرها وتعضيدها على كل حال !

ليست المواهب الادبية في النجف بأقل من مثيلاتها في سورية ومصر ، ولا هي قاصرة عنها في معاناة شتى اساليب التفنن والابتكار والتنافس والتعاون والتصادم والتعاطف والنقد والتقريظ ، ولكنها في الواقع أصبحت كالاسفنج تمتص وتستوعب وتستزيد وكالصخر تبخل وتشح فلا تهيء مديداً ممرعاً لفيضان الانتاج وتهذيب الاذواق وإيقاظ الحماس وتاميع الأخيلة والعواطف والطباع . . . مع ان الادب الصادق هو من غير شك إنجيل الحب والحق والجمال ، ونبراس الطموح والحرية والمساواة — وهل يغيب عن اي المتبصرين ما كان للأدب الوطني من أثر في استقلال سورية عن باريس ، ونهضة مصر الى الاستقلال عن لندن ؟

انا لا انفي نفياً ، ان في النجف ادباً مهيضاً يرفرف لمناسبات تقليدية في مآتم الاموات ومحافل الاعراس والترحيب وانما الذي يحز في حشاشة نفسي ان لا يتطور هذا الكائن من الادب فيشارك العصر الحديث في احاسيسه ويصاهره في منازعه واهدافه ومراميه . فاعملوا يا ادباءنا فسيرى الله عملكم ويشكره لكم أضعاف ما سوف يشكره لكم ابناؤكم جيلاً اثر جيل .

النجف

صدر الدين احمد

للعلامة ميرزا جعفر القزويني ضمنها رسالة

فكم اهاجت في الأسى لي مهجة ... الى حمى الزوراء ما اشوقها
وكم اذالت في الهوى لي مقلة ... الى مغاني الكرخ ما ارمتها
وكم روت لي عنك في اسنادها ... مودة في الدهر ما اصدقها
وكم دعت بالفضل من ذي لهجة ... عليك بالثناء ما انطقها